

**قراءة في كتاب: 'الجهل المرّكب، الدين والتدين، وإشكالية تغيير
المعتقد الدينيّ في العالم العربيّ'
لـ : عياد أبلال**

**A reading of the book: "Complex Ignorance Religion
and Religiosity, and the Problematic of Converting
Religious Belief in the Arab World" by Ayad Abelal**

أ. محمد بن همور

**جامعة ابن طفيل
المغرب**

benhamourmed8@gmail.com



قراءة في كتاب: "الجهل المركّب، الدّين والتدين، وإشكالية تغيير المعتقد الدينيّ في العالم العربيّ"

ل: عياد أبلال

أ. محمد بن همور

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تسليط الضّوء على كتاب الجهل المركّب: الدّين والتدين وإشكالية تغيير المعتقد الدينيّ في العالم العربيّ، للباحث في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا عياد أبلال. وقد سعينا في هذ المساهمة إلى تقديم مضامين الكتاب الأساسيّة، والتّعريف بالكيفيّة التي قارب من خلالها الباحث، توصيفا وتشخيصا التحوّلات الأساسيّة التي عرفها الحقل الدينيّ، وإبراز أهم النتائج التي توصل إليها. كلمات مفتاح: الدّين، التدين، تغيير المعتقد، الهوية الدينيّة، سوسيوأنثروبولوجيا.

Abstract:

This article aims to shed light on the book Complex Ignorance: Religion, Religiosity and the Problem of Changing Religious Belief in the Arab World, by sociologist and anthropologist Ayad Abela. In this contribution, we sought to present the basic contents of the book, and to introduce how the researcher approached the description and diagnosis of the basic transformations that the religious field witnessed, and to highlight the most important results he reached.

Key-words: Religion, Religiosity, Change of Belief, Religious Identity, Socioanthropology.

1- تقديم:

أصدر الباحث في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا عياد أبلال مطلع سنة 2018 كتابا موسوما بـ "الجهل المركب، الدين والتدين، وإشكالية تغيير المعتقد الديني في العالم العربي، مقارنة سوسيو-أنثروبولوجية"¹. ركز الباحث على تيمة تغيير المعتقد الديني، بما هو موضوع مركب وراهي لارتباطه بالتحوّل الاجتماعي المعاصر. ويسلّط الكتاب الضوء على قضية أساسية تهتم بتغيير المعتقد الديني في العالم العربي، بوصفه إشكالية سوسيو-أنثروبولوجية جدّ معقّدة، وأبرز القضايا المجاورة لها، على رأسها قضية الدين والتدين.

وقد جاء الكتاب ثمرة لبحث وبناء يبتغيان الإجابة على عدد من الأسئلة التي باتت مطروحة بشدّة في الحقل الديني في السنوات الأخيرة، خاصّة في ظل ندرة المصادر والمراجع العربية ذات الصلّة، وشحّ المقاربات الجادّة المواكبة للظاهرة. ما دفع بالباحث كما هو متعارف عليه في العلوم الاجتماعية إلى الانفتاح على معظم الأدبيات السوسولوجية والأنثروبولوجية التي اهتمت بالموضوع، والاستناد لمعرفة علمية تتعدّد خلفياتها، وتنتهي إلى مجالات وحقول معرفية متعدّدة من أجل توفير مادّة معرفية غنيّة، للاشتغال والتوظيف من إنتاج مفكرين من مجالات معرفية متنوّعة.

يهدف الكتاب إلى "تفكيك إشكالية تغيير المعتقد الديني باعتباره النّاطم المركزي الرّابط بين الدين من جهة، والتدين من جهة أخرى، تفكيكا يروم الجواب عن أسئلة الهوية الدينية في العالم العربي وفق تعدّد خرائط التدين، وإشكاليته المرتبطة بالتحوّل الديني، الاجتماعي، الثقافي، السياسي في زمن بات معولما بامتياز" (ص18). هذه الأسئلة لا تنفصل في الحقيقة عن القناعات والمرتكزات الدينية لجيل من الشّباب العربي المنفتح بالضرّورة على سوق دينية متعدّدة المنتوجات، تترجم في العمق، كما يرى الباحث، أزمة الاسلام السّي، خاصّة في ظلّ جمود المرجعية السّنية أمام الكمّ المهول من الأسئلة والمستجدّات التي لا تنفصل عن التّغيير والتحوّل اللّذين يعرفهما المجتمع العربي بشكل عامّ.

تحدّد قيمة الكتاب بكونه من الإسهامات القليلة التي جعلت من ظاهرة تغيير المعتقد موضوعا للتّفكير السوسولوجي والأنثروبولوجي، وكذلك أهمّيته التي لا تنفصل عمّا يحمل الكتاب من جدّة وأصالة على مستوى المقاربة والموضوع. ويتّضح ذلك بشكل لافت في ظروف اختيار ظاهرة تغيير المعتقد الديني، والذي كان هدف الباحث الأساسي في بدايته، هو الاشتغال على إشكالية من إشكاليات الدين أو التدين، وهي إشكاليات متعدّدة ومتجدّدة بتجدّد الحقل الديني نفسه وفق المتغيرات والتحوّلات التي تعرفها المجتمعات العربية، خاصّة بعد ما عرفته المجتمعات العربيّة في حراك الربيع العربي؛ الذي عجلّ ب بروز عدد من الظواهر الدينية المندرجة ضمن مشمول التحوّلات المجتمعية التي كانت الى وقت قريب تعمل في الخفاء.

1- عياد أبلال، الجهل المركب الدين والتدين وإشكالية تغيير المعتقد الديني في العالم العربي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، 2018.

ونشیر هنا، أننا نسعى من خلال هذه المساهمة العلمیة تسلیط الضوء على إشكالیة تغییر المعتقد فی العالم العربی الإسلامی والتعریف بأهمّ مضامین الكتاب وبالکافیة التي قارب من خلالها الباحث، توصیفاً وتشخیصاً، التحوّلات الأساسیة التي عرفها الحقل الدینی، وأهمّ النتائج التي توصل إليها فی هذه المجتمعات (المغرب، الجزائر، تونس، مصر) التي شملتها الدراسة.

-2-

یضم الكتاب ستة فصول موزعة على 846 صفحة من القطع الكبير، تعالج قضايا وإشكالات بحثیة رئیسیة ضمن نسق اشتغال العلوم الاجتماعیة حول موضوع تغییر المعتقد الدینی فی العالم العربی. ركّز الباحث فی بناء الموضوع وفق تشعبات إشكالیته المرکزیة، بناء یروم فصل جوانبه المتعددة، وإخضاعها للدراسة والتحلیل، وهو فصل منهجیّ أملته طبیعة الإشكالیة نفسها باعتبارها نقطة ما بین الدین والتدین، لذلك جاءت هندسة الكتاب لتجیب شكلیاً وموضوعیاً على هذا التمفصل، حیث قسم الكتاب إلى بابین:

تناول الباحث فی الباب الأول، المعنون ب: (تغییر المعتقد الدینی فی العالم العربی بین الدین والتدین)، دراسة مستوفیة لشروطها العلمیة التي لا تهدر السیاق النظریّ لصالح الميدانی، مثلما لا تهدر ارتباط الموضوع بالدراسات الغربیة، وبخریطة التدین فی العالم العربی، على اعتبار أنّ تغییر المعتقد هو نتاج وإفراز ل طبیعة هذه الخریطة وتوتراتها، الأمر الذي جعله یقسم الباب الأول إلى ثلاثة فصول مترابطة فیما بینها وفق انسجام وتدريج منهجیّ، حیث تناول كلّ فصل فی محورین مرکزیّین، وكلّ محور فی ثلاثة أو أربعة عناوین فرعیة.

عالج فی الفصل الأول: (الدین والتدین من منظور العلوم الاجتماعیة)، مختلف التراکمات النظریة حول الموضوع من وجهة نظر الدراسات الغربیة التي قاربت من زوايا مختلفة: سیکولوجیة، اجتماعیة، اقتصادیة، وسیاسیة، لینتقل إلى الظاهرة الدینیة فی السیاق العربیّ. فی المحور الثانی الذي تمّ تخصیصه لعلاقة الظاهرة الدینیة بعلم الاجتماع والأنثروبولوجیا، والاستشراق، انتهاءً بخلاصات الدراسات الميدانیة، خاصة فی المنطقة المغاربیة (المغرب، الجزائر، تونس) لندرة الدراسات ذات الصلة فی مصر.

أما الفصل الثانی المعنون ب: تغییر المعتقد الدینی بین التحلیل السوسیولوجی والأنثروبولوجی، فقد خصص لدراسة موضوع الإشكالیة المرکزیة باعتبار المعتقد هو أحد المكوّنات لفعل التدین من خلال اقتراح عدّة منهجیة تحلیلیة لدراسة الموضوع، وهو ما شكّل المحور الأول من هذا الفصل، حیث تناول المقاربة الأنثروبولوجیة التأویلیة الرمزیة فی ارتباطها بالتحلیل السوسیولوجیّ. ولما كان الموضوع منصباً فی العمق على فصل وتحديد منهجیّین لأحد أهمّ مكوّنات فعل التدین، فإنّ ارتباط هذا الأخير بعدد من المجالات والتخصّصات العلمیة اقتضى ضرورة تعریف المفاهیم، ونقلها من سیاقاتها الأصلیة إلى سیاق عملیّ، إذ قام بتخصیص المحور الثانی من هذا الفصل للمفاهیم السوسیو-أنثروبولوجیة، لقدرتها الإستمولوجیة على تحلیل ظاهرة تغییر المعتقد الدینیّ.

ركّز الباحث في الفصل الثالث، والذي عنوانه ب: (إشكالية تغيير المعتقد الديني بين الواقع الإحصائي والشك المنهجي)، على استحضار أهمّ الدّراسات السابقة، خاصّة في ظلّ السّياق النظريّ والميدانيّ للغرب في دراسته للظاهرة، فقد جاء هذا الفصل في محورين أساسيين:

المحور الأوّل تمّ التطرّق فيه إلى إشكالية تغيير المعتقد الدينيّ بين الدّراسات الغربيّة والعربيّة. أمّا المحور الثاني فقد تمّ تخصيصه في سياق ربط النظريّ بالميدانيّ، وصهر مختلف المقاربات ذات الصّلة من جهة، ووضّح تيبولوجيا الدّين والتديّن في الدّول الأربع، التي تشكّل ميدان هذه الدّراسة من جهة أخرى؛ لخريطة التديّن بهذه الدّول، ومن خلال تسييج أنماط وأشكال تغيير المعتقد الدينيّ، حسب عدد من التّقارير الدّينية العربيّة والدوليّة، والتّقارير الإعلاميّة، مركّزا على خريطة التّنصير، التّشيع، الإلحاد في كلّ دولة من الدّول الأربع (المغرب، الجزائر، تونس، مصر). وبهذا تمّ إغلاق الباب الأوّل من الكتاب.

أما فيما يخصّ الباب الثاني فقد كان تحت عنوان: (أسباب وعوامل ورهانات تغيير المعتقد الديني، وتحولات صورة الله). حيث اعتبر الباحث أنّ الدّول الأربع ميدان واحد لدراسة الاشكالية، وأنّ الفصل المنهجيّ بين كلّ بلد على حدة، أمله الضرورة المنهجية لدراسة الاشكالية، والظاهرة في شموليتها بغضّ النظر عن الانتماء القطريّ، خاصّة التّشابه بين مسارات ومسالك تغيير المعتقد بهذه البلدان.

وقد تمّ تقسيم الباب الثاني إلى ثلاثة فصول، كلّ فصل يتضمّن محورين مركزيّين وثلاثة عناوين فرعيّة، حسب ما أمله الضرورة المنهجية، وجاء الفصل الرّابع (الأوّل من هذا الباب، والرّابع من الكتاب)، والمعنون ب: (عوامل وأسباب تغيير المعتقد الديني في العالم العربي من الإسلام السّني إلى المسيحيّة) من خلال دراسة هذه الأسباب بين مختلف الأنساق المشكّلة للفعل الاجتماعيّ (نسق الشّخصيّة و النسق الاجتماعيّ، نسق الثّقافة). وبالتّقسيم المنهجيّ نفسه درس في الفصل الخامس، (أسباب وعوامل تغيير المعتقد الديني في العالم العربي من الإسلام السّنيّ إلى الإسلام الشّيعيّ الاثني عشري) التّشيع العربيّ، وهو العمل المنهجيّ نفسه الذي اعتمده الباحث خلال مقارنة الفصل السّادس (تغيير المعتقد الديني في العالم العربي من الإسلام السّني إلى الإلحاد) أسباب وعوامل ومسالك هذا التحوّل الدينيّ الجذريّ والرّاديكاليّ، مروراً بمراحل هذه التجربة الدّينية/اللاّدينية.

يقدم الكتاب إذّا، دراسة سوسيو أنثروبولوجية تتوخّى معالجة ظاهرة تغيير المعتقد في العالم العربيّ من خلال الاعتماد على قواعد العلوم الاجتماعيّة ومنهجيتها لفهم الظاهرة وتفسيرها، مستثمرا خلفيات نظرية (نظرية الفعل الاجتماعيّ، الوظيفية، التأويلية الرمزية) بهدف صياغة تركيبية تجريبية للوظيفية التأويلية الرمزية، وهي الصّياغة النظرية التي سعى الباحث إلى تعميمها في سياق الصّدق الخارجيّ لدراسة ظواهر التحوّلات الدّينية.

-3-

يحاول الكتاب الإجابة على الإشكالات التّالية: كيف يمكن أن نشرح ظاهرة تغيير المعتقد الدينيّ من الإسلام السّنيّ إلى المسيحيّة بمختلف كنائسها؟ وكيف يمكننا أن نفسّر الانتقال المتزايد من المسلمين السّنة إلى المذهب الشّيعيّ الإثني عشريّة، بكلّ ما يقتضي ذلك من أسئلة إشكالية تمهم الأسباب الاجتماعيّة

والثقافية، وحتى السياسية لهذا التحول المذهبيّ التدينيّ؟ لماذا يغير بعضهم معتقداته الدينية والمذهبية (من دين أو مذهب (أ) إلى دين أو مذهب (ب)؟ فما هي إذا المسالك الاجتماعية، والثقافية، والسياسية المؤدية إلى تغيير المعتقد الدینی بأشكاله الثلاثة في العالم العربي (التنصر، التشيع، الإلحاد)؟

وبما أنّ تغيير المعتقد الدینی هو في المقام الأول والأخير تحول ثقافيّ قيميّ، واجتماعيّ، فما مراحل هذا التحول وطبيعته؟ ثم ألا يشكل هذا التوتر في الذاكرة الجمعية الدينية رد فعل طبيعيّ على حجم التحولات التي يعرفها العالم العربيّ ثقافيًا واجتماعيًا من جهة، وجمود الذاكرة الدينية المؤسسية، مثلما يمثلها النظام السياسيّ، بعدما تحول الدين إلى مجرد قواعد وممارسات روتينية مؤسسية من جهة أخرى، لا تسير حجم هذه التحولات؟ وأخيرا أليست أشكال اللادين الجديدة تعبيرا عن انفجار مفهوم التدین نفسه؟ فيما يشبه أطروحة الكتاب يقدم الباحث مجموعة من الفرضيات للإجابة على الأسئلة السابقة، حيث أسس عمله على فرضية مركزية، مفادها أنّ ظاهرة تغيير المعتقد التدينيّ من دين إلى آخر، أو من مذهب إلى آخر، هي نتيجة للإخفاق الاجتماعيّ، الثقافيّ، السياسيّ، الذي باتت تعرفه مختلف الأوساط الاجتماعية في العالم العربيّ، ورد فعل على صراع هوياتيّ، خاصة في تداخل وتنافس مرجعيات ثقافية دينية، تشكل أهمّ مداخل النسق الثقافيّ العربيّ اليوم: (الفكر الوهابي، السلفي الجهادي، الشيعي، الفكر العلماني... إلخ). في ظلّ الخلل الكبير في أداء نسق الشخصية نتيجة لعدة عوامل اقتصادية، سياسية، اجتماعية في وقت التيه اليقينيّ، ومن ثمة يفترض أن يكون انبثاق أزمة في نسق الشخصية يقود نحو تغيير المعتقد الدینی حلاً لتجاوز زمن التيه واللايقين.

كما يفسّر الباحث تغيير المعتقد الدینی بأنه تحول سوسيوقيميّ ناتج عن أزمة نفسية، تصيب شخصية المتحول نتيجة عدم قدرته الاجتماعية والثقافية على التأقلم مع النسق الاجتماعيّ، حيث تعاني العلاقة بين النسقين الاجتماعيّ والثقافيّ من خلل وظيفي، يصيب نسق الشخصية نتيجة عجز نمط التدین الأول عن تلبية حاجيات نسق شخصية المتحول؛ الذي يجد ذاته وتوازنه في سياق الدين أو المذهب المتحول إليه (ص21).

ينتهي الباحث في الأخير إلى خلاصات عامة، هي بمثابة اختبار تأكيديّ لصدق الفرضية التي انطلق منها، تتمثل في إبراز أبرز أهمّ الأسباب والعوامل التي تساهم في تغيير المعتقد الدینی في العالم العربيّ والإسلامي، وهي كالتالي:

- أزمة الطفولة والمراهقة وتضرر صورة الأب/ الأسرة.

- فشل مؤسسات التنشئة الاجتماعية والدينية في تلبية متطلبات الأجيال المعاصرة.

- هيمنة الفكر الإلحاديّ والتسلط البطريكيّ، وغياب الحوار والقبول بالاختلاف.

- انفصال أشكال التدین الاسلامي السنيّ عن أساسها الروحيّ، وتحول التدین إلى أشكال فرجوية مظهرية

خالية من الروح (الصلاة، الصوم، الحج...)

-أزمة العقل الفقهيّ، وتخلّف الخطاب الدّينيّ السّنيّ (الشّبهات، القضاء والقدر، حرّية المعتقد، الصراط المستقيم، الثّلاث الناجي، عذاب القبر، وضعيّة المرأة...).

-ظهور الإسلام السياسيّ والجماعات الدّينية الإرهابيّة (القاعدة، داعش، بوكو حرام، جند الله، جند الخلافة... الخ).

-دخول أنساق ثقافيّة منافسة من قبيل الفكر الحدائّي الغربيّ.

-تأثير صورة الغرب الحضاريّة، الديمقراطيّة والحدائّيّة على الشّباب في العالم العربيّ.

-الإقبال الكبير والمتزايد للشّباب العربيّ على الانترنت في غياب تنشئة اجتماعيّة وثقافيّة كفيلة بتحقيق المناعة المكتسبة للشّباب العربيّ. ص (817).

يبدو من خلال قراءة سريعة لنتائج الدّراسة أنّ العوامل والأسباب التي حصرها الباحث لا تنفصل بالمطلق عن التّغيير والتّحول اللّذين يشهدهما العالم العربيّ والإسلامي على المستوى الدّينيّ والاجتماعيّ والثقافيّ، والسياسيّ. كما يشكّل تغيير المعتقد في نظر الباحث ردّ فعل طبيعيّ على حجم هذه التّحوّلات الكبرى؛ التي تعبّر بدورها عن صراع عسير بين مقوّمات التّقليد ومقوّمات الحدائّة. وهذا الصّراع في نظرنا ليس اختياريّاً أو إراديّاً، بل هو مخاض موضوعيّ ناتج عن مظاهر تقدّم الحدائّة التي تحوّلت إلى تيار كاسح يغزو كلّ الأفاق والفضاءات بمختلف الوسائل والأليّات. كما أنّه صراع مفتوح لأنّه يقحم هذه المجتمعات في مخاض من التّحوّل طويل المدى، فصدمة الحدائّة، تجعل المجتمعات التّقليديّة بتعبير محمد سبيلا "تشهد اهتزازات وتحوّلات في كل مستويات النسق الاجتماعيّ"¹.

-4-

أخيراً، تميّز السوسيو-أنثروبولوجيا بعمقها الذي تستند فيه على أهمّ المناهج في العلوم الاجتماعيّة، لكي تساهم في بناء الموضوع السوسولوجيّ، أو بالأحرى الظاهرة السوسولوجيّة عن طريق المعايضة التي تميّز هذا العلم عن باقي العلوم. ثمّ، لاعتبار آخر يكمن في سعي هذا الحقل إلى محاولة الكشف عن القوانين العامّة التي تحكم الظواهر وتفسّر ماضي المجتمعات. وهو ما يمكّن الباحث في غالب الأحيان، من التّعريف بعمق على الثقافة والسّلك والعادات والتّقاليد في هذا المجتمع أو ذاك. وبفضله يتمكّن من أن يتنبأ بمستقبل المجتمعات استناداً إلى تلك القوانين السوسولوجيّة العامّة التي تنظّم تاريخها العميق.

كذلك، عمل الباحث هنا، ومن خلال مؤلّفه هذا، إلى تقديم نظريّة أو نموذج تفسيريّ لدراسة المجتمعات العربيّة والإسلاميّة بشكل عامّ. ويعدّ هذا مشروعاً طموحاً شاسعاً، أكّد عليه الباحث، باستمرار، في ثنايا متنه. حيث يلاحظ القارئ رغبة ملحّة في استخلاص فرضيات يمكن تعميمها على هذه المجتمعات بصفة عامّة. لكن يظلّ الإشكال الأساسيّ هنا، لا في عمليّة التّعميم بحدّ ذاتها، بل المشكل الحقيقيّ يكمن بلغة ديك

1- محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، دفاتر فلسفيّة_ نصوص مختارة : الحدائّة، دار توبقال للنشر، الطبعة الثالثة 2008، ص5.

ايكلمان "هو أن نعرف كيف نعمم"¹. أي العمل على "دراسات مكثفة في مناطق جغرافية ضيقة"²، وهو شرط مهم أهملته الدراسة التي نعكف عليها.

لهذا، يعدّ في نظرنا مطلب الوصول إلى نموذج تفسيري عامّ لدراسة المجتمعات الإسلامية أو العربية، صعباً وبعيد المنال. مع العلم أنّ المجتمعات العربية والإسلامية ليست كلاً واحداً منسجماً، بل إنّ ما تميّز به هو عدم التّطابق بين منظومتها الثقافية وبنائها الاجتماعية التي تختلف من مجتمع إلى آخر. وحتى إن سلّمنا بإمكانية وأهمية دراسة المجتمعات الإسلامية على اعتبار أنّها تشكّل نموذجاً واحداً متشابهاً سيرا خطى بعض الباحثين مثل غيلنر³ وغيره، فإنّ الدراسات الأنثروبولوجيا الحديثة تعترف بأنّ المجتمعات المعاصرة إن كانت تميّز بشيء، فهي تميّز بـ"تعددية الثقافات، كما تعترف بمعاييرها المشتركة وباختلافاتها الداخليّة في ثقافة بعينها... ففي قلب المجتمع الواحد تتعايش تعدديّة من الأشكال، والعدّة الثقافية لأعضائه تختلف بحسب الوضعية الاجتماعية (العمر، الجنس، التربية، الثروة، المهنة، القناعات السياسيّة الانتماء الديني... إلخ)"⁴.

كما أنّ سعي الباحث ومحاولته تفسير ظاهرة مركّبة وعميقة ومتشعبة الأسباب مثل ظاهرة تغيير المعتقد، في مجال واسع (المغرب، الجزائر، تونس، مصر)، سمته التّعدي والتّغير، يؤدّي حتماً إلى نتائج شبه عامّة، قد تسقط الباحث في شرك التّزعات الاختزاليّة. وعلى حدّ تعبير الأنثروبولوجي مارك أوجي "إذا بقينا عند مستوى العموميّات، فإنّنا نضيع الخصوصيّة التي تشكّل قيمة المقاربة الأنثروبولوجيا"⁵. هذا، دون أن نغفل اختيارات الباحث وإيمانه المطلق بخلفيّاته النظريّة التي شكّلت مرجعيّة موجّهة لبحثه، تتضمّن بالأساس توظيفه للأنثروبولوجيا التّأويليّة الرّمزيّة، ونظريّة الأنساق الوظيفيّة، باعتبارهما أكثر أهليّة من غيرهما على مستوى الجدوى والملاءمة، لتسليط الضّوء على محدّدات الظّاهرة، والإمساك بأسبابها وعواملها. والتي لم تسلم بدورها من ثغرات ونقد على المستوى الأبستمولوجي.

1- ديك أكلمان، الإسلام في المغرب، ترجمة: محمد عفيف، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى 1989. ص 10.

2- المرجع السابق، ص 10.

3- خالص غيلنر إلى أن البنية الاجتماعية في المغرب، قد بقيت لعدّة قرون، محافظة على خصائص معينة كما لو كانت موضوعة في (صندوق من الثلج)، وهو ما جرّ عليه مجموعة من الانتقادات أبرزها انتقادات ديك أكلمان. (انظر كتاب الإسلام في المغرب). كما وجّهت عدّة انتقادات لأطروحاته الأساسيّة حول المجتمعات الإسلامية، لعلّ أبرزها تلك التي تناولها طلال أسد بالتقد، والتي رأى بموجبها أنّ غيلنر بسط الإشكالية التي يدرسها بشكل محلّ، كما رأى أنّ ما قدّمه عبارة عن نصّ مقدّس يعمل في الهواء، ويقترح أسد في هذا المضمار، إعادة النّظر في نوعيّة الخطاب الإسلاميّ برّمته. بالإضافة إلى انتقادات كلّ من سامي زبيدة الذي يرى أنّ نموذج أطروحة غيلنر، إن صدقت، فإنّها تصدق على المجتمعات البدويّة في شمال إفريقيا التي درسها ابن خلدون والتي لم يزد غيلنر على ما قدّمه ابن خلدون كثيراً. في حين يرفض الأنثروبولوجي المغربي عبد الله حمودي وغيره من الباحثين المغاربة صلاحية النّموذج الانقساميّ لدراسة مجتمعات شمال إفريقيا، مقدّمين في تقديم العديد من الأمثلة التاريخيّة والاجتماعيّة على عدم صلاحية أو مصداقيّة النّموذج النظريّ لتفسير ما كان يجري فعلاً في تلك المجتمعات.

4- مارك أوجي وجان بول كولان، الأنثروبولوجيا، ترجمة: جورج كتوره، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى 2008، ص

21.

5- المرجع السابق، ص 10.

ورغم كل ذلك، تبقى دراسة ظاهرة تغيير المعتقد في العالم العربي متميزة ومهمّة، وتشكّل اللبنة الأولى للمزيد من الأعمال في هذا الحقل. ولا شكّ، أنّ هذا العمل يشكّل إضافة مهمّة جدّاً للمكتبة العربية التي تعرف خصاصة مهولة في البحوث الأكاديميّة. كما يحسب له أيضاً، رصده لظاهرة اجتماعيّة مسكوت عنها، تعتبر من التابوهات الاجتماعيّة؛ وهي توضّح بجلاء درجة الأزمة والتّعقيد التي يعرفها العالم العربي في جُلّ مستوياته.

